نـافـذة

مسمار نجاة العالم

بيد مَنْ؟ من يقود العالم؟ من يحدد مصيره؟ هل سورية تفعل ذلك بعد أن اكتملت الصورة وما مصيرها؟ هل يقرره عالمها الخاص بها؟ كيف يكون هذا؟ هل بالذي وصلنا إليه؟ تظهر لنا، تطالب خط بصرنا بأن نبتعد من الوسائل التقليدية أثناء قيامنا بتحليلها، وإلا فسنصطدم بأسوار لا أبواب لها.

من أين نبدأ إن لم تتضافر المعطيات؟ لقد غابت قدرات البحث والتأمل، وابتكار الجديد يحدث صحوة مع نقلة نوعية، تصل إلى المستور، وتشكم الظاهر إليها، كيف بنا نعمل على انتهاج خيارات بديلة لكل الوصفات الجاهزة المتلئة بالسموم التي تمرسنا في تناولها، وبدلاً من أن نصل إلى نسخ شديد الوعي للواقع، نجد أننا ننغمس أكثر من مساحة الانحصار، هل نحن أمة ملعونة، قدرها أن تحيا توقاً إلى الماضي، ولا تؤمن بالغد الغامض، من دون السعي لفهمه والعمل الحثيث لكشفه قبل الوصول إليه؟

الذاكرة والنسيان والقسوة تجعل الإنسان أكثر حكمة، فأحلام المرء تصبح واقعاً لحظة أن يشتغل لها، لأن لعبة الحياة للإنسان تنتهي على غفلة فهمه، والابتسامة المتألمة تغيير مجرى الحياة، كيف أن نعرف طعمها ونوعها ومبادئها التي أسست عليها، وما علاقة الحلم الإنساني بالتطبيق البشري؟ أين نحن، وما الرابطة الواقعة بين الذاكرة والنسيان، وما علاقة القدر في رسم مسارات الحياة؟ أم إنها إرادتنا سالبة أم موجبة هي التي ترسمها، وهنا ينشأ سؤال: من يدقق رسومنا؟ من يراقب مسيرنا؟ كيف بنا نثق بذاتنا، ضميرنا، إلهنا؟ هل الفائز يربح كل شيء؟

تفكروا في الخسارة الواقعة أمام أي نجاح، كيف بنا نخاطر؟ بماذا نخاطر؟ وما حجوم التضحيات لتجاوز المخاطر أو العقبات أو إصلاح الخطايا التي نسعى لتجاوزها؟ ومن ثم تطهير أنفسنا وتقديمها على أنها صالحة ومستقيمة؟

أين يقع خط النجاة، وكم يبعد عن مسار الجحيم الذي يصنعه العالم مما ينتجه فكره، ويحوله إلى أدوات تقاتل، وكلمات تحفيز على القتل، من أجل الوصول إلى السيطرة على العالم وقيادته، لا إلى الضوء، وإنما إلى الجحيم.

الله متجسد في الحب، أوجد كونه من محبته، كيف بنا نستثمر بالشر بدلاً من المحبة؟ أي نفاق ديني نتداوله ونعمل عليه، ليس فقط على أضلاع مثلث القداسة، وإنما لدى جميع الأديان المحيطة به.

إذاً لعبة حكم الشعوب، أي السياسة والسياسة العالمية في حالة تناحر، لم يشهد الألم لها مثيلاً، والسياسة لا تستقر إلا إذا كان الوضع الاقتصادي العالمي مستقراً، وهو في حالة اهتزاز أكثر من خطرة، ولذلك تتحرك أداته، أي السياسة، وتتربع على الاقتصاد والأديان، حيث لا يغدو لهم أي قرار أي عقبة كؤود، تقف في وجه تحول الأمم من الخوف إلى الحب، ومن التخلف الفكري وعقمه إلى الإبداع الإنتاجي وخدماته الإنسانية.

ألا يدعونا كل ما يجري على سطح كوكبنا الحي للعمل على إجراء تغييرات عميقة في الفكر العالمي؟ هذا الفكر المسؤول عن المسار والمصير لهذا العالم امتلأ محيطه بالخوف الذي تبثه وسائط اتصالات إعلام مرئي ومقروء فضائي وأرضي، ويدعوه للبحث عن المخلص الروحي أو الإنساني الافتراضي صاحب التخليص، أو الخلاص من المعاناة الإنسانية التي يستنبطها من الخوف المصيري ذاته القادم من جهات المخاطر الأربع، وحتى من مركزه الذي يرتكز عليه، ويشد نفسه إليه، فهو مهدد بأمنه وأمانه وسعيه للحفاظ على عناصر بقائه، لأن مصيره مع محيطه أصبح وأمسى أكثر من مجهول، حيث ارتبط بشكل أو بآخر بأشكال الحرب المباشرة أو التآمر والإرهاب غير المباشر المتحول في مراحل متقدمة إلى مباشر، ناهيك عما تقدمه مراكز البحوث العلمية العالمية التي تضخ الرعب والخوف حول إمكانية اصطدام كوكب مع كوكبنا وتأكيد ذوبان أحد القطبين الشمالي أو الجنوبي، وهذا يحدث ببطء، ما سيؤدي إلى طوفان عظيم أو حرب نووية عظمى، تؤدي بالحياة إلى اللاحياة، لأن المخازين النووية كافية لتدمير كوكبنا وإفناء الحياة عليه عدة مرات، حيث المؤشرات تنبئ بنفاد الغذاء والماء وربما الهواء، لأن جميع الأغذية تتحول إلى صناعية، وهي جزء من الحرب البيولوجية، إلى أين؟ لنتفكر.. إلى زلازل عنيفة، تقلب ظاهرها إلى باطنها الذي ملأته التجاويف الهائلة نتاج النهب المذهل لمخازين هذا الكوكب من النفط والغاز والمعادن والمواد الأولية.

أمريكا قوة عظمى تهدد العالم، هل حقيقة عظمى، وأنها قطب واحد؟ بالأمس ظهرت أمامها روسيا، وأعلنت أنها قوة عظمى، وهددت أمريكا، لأن أمريكا هددت حلفاء روسيا، أي إن التهديد أصبح سريعاً وعلنياً بين طرفين نقيضين أو محورين، كل منهما لديه مؤيدون، وإن الأنامل الناعمة جاهزة لتضغط على أخطر الأزرار عالمياً، هل السبب سورية؟ وهل تمتلك سورية مسمار الأمان ليتحرر الصاعق الذي يفلت كل شيء من عقاله؟ حيث تكون المواجهة الكبرى، وتتحقق فرضية الانفجار النووي الهائل بين العظميين أو العِظَام، ليتكسر الجميع.

هل يعقل أن يصل العالم إلى هذه الحالة من الخوف والهلع الاجتماعي والاقتصادي وحتى الديني الذي تحدثت عنه سابقاً، بأن جميع مشاريعه آلت إلى الانكشاف؟ وكم هو بحاجة إلى ترميم من جوهره إلى مظهره؟ وغدا الكثر قابلين للتخلي عن كثير من قيمهم ومبادئهم، لأنهم لعبوا دوراً كبيراً في إنجاز الخوف وتعميمه، بدلاً من نشر الحب والتمسك بمفرداته.

إذا أقررنا أن السياسة تفعل فعلها، وتتلاعب بكل ذلك، إذاً من يقود هذا العالم؟ هل مهندس الكون الأعظم؟ أم كيمياء الصهيونية؟ أم فيزياء المسح والعلاج به لمسح دموع المستضعفين؟ أم تجارة المسلمين التي لم تأخذ دورها بفاعلية؟ حيث بقيت في حالة استهلاك القادم من الأطياف المؤسسة لحضورها؛ أي إنها تابعه لهذا أو لذاك، من دون القدرة على شق طريق يكون خاصتها، أو إبداع فكر يتعلق به أبناؤها.

من يقود العالم إلى شفير الهاوية أو حتى الهاوية؟ من يمتلك مسمار النجاة؟ سورية، إيران، كوريا الشمالية، فنزويلا، وسابقاً كوبا أيام حادثة خليج الخنازير في ستينيات القرن الماضي؟ هذه الدول التي تطلق عليها أمريكا المارقة، لماذا؟ لأنها تمتلك مسمار النجاة، والتي كانت دائماً وأبداً المناهضة لكل صنوف الحرب والعدوان والاعتداء والإرهاب بكل أشكاله، وهي مع هذه الدول أوصلت قطباً نداً يقف بقوة في مواجهة كبرى أمام الأمريكي، ويمارس تهديده لهذه الدول، ما يعني بدقة تهديداً له. هل تتمادى أمريكا أكثر، وتأخذ العالم إلى الهاوية؟ سؤال برسم سورية أولاً، وإيران وكوريا وفنزويلا ثانياً، ومعها روسيا، هل هذه الدول هي التي تقود العالم؟ إلى أين؟ مؤكد أنها هي كذلك، ورأس حربتها سورية التي تدافع ليس فقط عن وجودها، إنما حقيقة عن الوجود الإنساني والحياة الكلية، لذلك نجدها تقف بين قطبين، تميل إلى القطب الروسي، وتعمل معه ومع شرفاء العالم الأحرار الحقيقيين في وجه ظلم القطب الآخر أمريكا، وتتحمل ما تتحمله بحكم أنها تمتلك مسمار نجاته.

د. نبيل طعمة

حين نهمل الحكمة ونفسّر الأحكام على هوانا!

الدعوة ليست في خدمة المذهب والزمان بل للتذكير بجوهر الوجود والعمل له

«في جلسة مع سماحة المفتي العام الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون لفتني حديثه عن تفسير كلام الله تعالى فسجلته وأضعه بين أيدي القراء للإفادة منه ومن رؤية سماحته».

حين خاطب الله جل جلاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في كل سورة من السور الكريمة هناك إشارة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدايتها أو في وسطها أو في آخرها، هذا في السور الطويلة، أما في قصار السور فإننا نقف عند كلمة (قل).. وكلمة (قل) أي إنك ستكون نموذج قولك، فيا محمد ستكون أنت النموذج في هذا القول، وفي سورة (النصر) إذا جاء نصر الله والفتح، لم يقل: قل إذا جاء نصر الله والفتح.. ولا (الكوثر) أما (أرأيت الذي يكذب بالدين) و(قل هو الله أحد) و(ألم تر)؟ لِمَ يقول الخطاب هذا الأسلوب المعجز؟

ليقول له: أنت ستكون أول من يطبق هذا، فتكون هذه الآيات موجهة إليك لأنك ستكون نموذج التطبيق أمام الناس، فليس خطاب القرآن للنبي فقط في قوله (يا أيها النبي) و(إنا أرسلناك) (بلغ ما أنزل إليك) بل في كل ما يحمل دلالة الخطاب مثل (قل، ألم يجعل، ألم تر) فهذه الآيات موجهة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم) أولاً لتكون نموذج التطبيق.

والنص القرآني تقوّل فيه عدد من المفسرين غير ما أريد منه، وغير ما فهمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدد من المفسرين أرادوا مواءمة بين زمنهم وحاكمهم وحياتهم، فراحوا يفسرون كلام الله عز وجل بالأقاويل لا بمراد الله عز وجل، فقد قال الله مخاطباً النبي (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل..) إذاً لا يجوز التقوّل في تفسير النص القرآني بما يوافق هواه، بل بما يوافق مراد مولاه.. وهذا لا يجوز للنبي، فما بالنا ونحن نجد من يفسر بما يوافق هواه؟

ولو نظرنا إلى الأئمة رضوان الله عليهم الذين عاشوا من الإمام جعفر إلى أبي حنيفة وزيد وأحمد والشافعي والأوزاعي وجميعهم عُذّب، وبعضهم قُتل، وأحرق، والسبب أن الأئمة الأجلاء لم يقولوا بعض الأقاويل، بينما نجد عدداً من المفسرين في زمانهم يفسرون كلام الله بما يوافق هوى الحاكم ومصالحهم مع الحاكم، ومع هوى المجتمع الذي يعيشون فيه.. وكذلك فعل المؤرخون الذين زوروا التاريخ، ووصل تزويرهم إلى قصص الأنبياء، إذ كتبوا كل ما كتبوه في سبيل مصالحهم ورضا الحاكم الذي عاصروه لأنهم يعملون لديه، ولا يعملون بالعلم..! ولو عدنا إلى القرآن الكريم فإننا سنجد كثيراً مما كتبه المفسرون في فهم القرآن الكريم مستمداً من طبقاتهم الحياتية وقبائلهم، بل نجد خلافاً مناطقياً في الفهم حسب الأهواء والميول، لذلك نجد الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) الذي يحمل راية القرآن ونور الإسلام ومسير محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يجعل من الثلاثة حاملاً لأغراضه وأهوائه وليتقول بما يمليه هواه، ويأخذ الناس إلى ما ينبغي من عزة لنفسه وقبيلته وزمانه ومجتمعه من دون مراد الله فيه فهو من كان مقصوداً في قوله (ولو تقوّل علينا..) فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحبوب المعصوم يواجه بخطاب الله الحازم، فالمقصود الحقيقي نحن الذين جئنا بعد النبي لنحمل راية الإسلام والقرآن.

المقصود أنتم يا علماء المسلمين، لا تفعلوا ما فعل الأقوام قبلكم في فهم النص المقدس الذي جاءهم، فلا جدال ولا تقوّل في فهم القرآن، وفسّروا بما يوجه العقل ويرتقي به، وفهم القرآن للارتقاء لا لملء الجيوب واكتساب المواقع والمناصب، والحصول على رضا المجتمع والحاكم.

فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خوطب بقوله تعالى: (ولو تقول علينا..) فما بالنا عندما نخاطب نحن بهذا الخطاب؟

ومن هنا أجد أن المفسرين والمؤرخين لم يسجن واحد منهم، ولم يعذب واحد منهم، وكل العذاب جاء للفقهاء والمجتهدين الذين رفضوا أن يتقولوا بعض الأقاويل.. لأنهم أصحاب الفكر وفقه النص وحكمته، فالمجتهدون عوقبوا كما حصل مع أبي حنيفة عندما رفض أن يكون شيخ الإسلام، لأنه عرف أنه إذا دخل المنصب انصاع لفهم الحاكم.. والإمام أحمد بن حنبل لا علاقة له ببدعة خلق القرآن، وهي قضية سياسية بثوب عقائدي، والإمام أحمد لا يؤمن بالاعتزال ولا بالأشاعرة، هو مجتهد، رفض هذا الصراع.. وما رفضه يومها نقوم اليوم بدراسته وتدريسه في جامعاتنا، ليقتل بعضنا بعضاً.. نسينا إسلامنا وقرآننا والنص، وتبعنا الاعتزال والأشاعرة، وتبعنا الصوفية والسلفية، وكأن هذه المذاهب الفكرية هي الإسلام والنص.

فمن يتصدَّ للنص والمهام الدينية فعليه أن يعمل من أجل أمته والنص المقدس والوطن، ونصح الحاكم، وأن يقبل الحوار والانتقاد، واستخدام الموقع يجب ألا يخالف النص والخير.. وعليه ألا ينصاع للمؤسسات السياسية والدينية التي أرادت أن تحتوي كل شيء لمصلحة الزمان والسلطات والبيئات.

وفي مسيرتي العلمية، وفي المهام التي شرفني الله بها لم أخرج عن هذا الفهم، وضرورة توجيه الخطاب الديني لمصلحة الدين والأمة.

وما نراه من شعارات اليوم يفعل فعله السلبي، ويدفع للكره، والدين هو حب.

الشعارات بالأحكام شيء وبالحكمة شيء آخر.. ومن أهم الشعارات التي غيّرت حياة الأمة (الإسلام دين ودولة) متى ظهر هذا الشعار؟ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت لبناء دولة، بل جاء لبناء أمة.. الدول يصنعها الناس أما الأنبياء والرسل فلم يبنوا دولاً، بل يجمعون الأمم، والله تعالى قال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ولم يقل خير دولة!

وهذه الأمة ليست العرب فقط، والنص يحدد (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فمن حمل هذه القضايا الثلاث هو من خير أمة أخرجت للناس ولو كان سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وعلي القُرشي.

كل الشعارات التي ترفع اليوم هي نفسها التي قتل بها سيدنا عثمان وهو يقرأ القرآن، وطعن بها سيدنا علي وهو على باب الفجر ينادي للصلاة، وذبح بها الإمام الحسين ريحانة بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بروايات جميع الأئمة والمذاهب وكل الروايات.

بعض أبناء ذلك الزمان الذين أرادوا رضا الحاكم والمجتمع قالوا: ذبح الحسين عليه السلام بسيف جده! كيف بسيف جده قالوا: لأنه خرج عن الجماعة.. ومتى كانت الجماعة تعبر عن ظلم وباطل؟

الجماعة جماعة حق.. وبعد ذلك يأتي من قول عن الحسين: لعن الله أمة قتلتك..! ما علاقة الأمة بما فعل الحاكم وجماعة من أنصاره؟

قضية التغرير والتحوير بالنص هي القضية الخطرة، والفهم المناسب للزمان والحاكم هو الذي يسود، مع أن الإمام الحسين عليه السلام قال: ما خرجت إلا من أجل سنة جدي... وكل آل البيت لم يطلبوا خلافة، لأنهم اختصوا بالإمامة لا الخلافة، ويأتي اليوم من يدّعي الخلافة والحكم لآل البيت... ويقاتلون من أجل الخلافة.. الإمامة تبقى على العالمين، والخلافة تنتهي بانتهاء حياة الحاكم والخليفة.

ولننظر إلى سليمان الذي قال: «ربي هب لي ملكاً» وأعطاه، فهل نجد اليوم من يقول اللهم صل على سليمان.. بينما سيدنا إبراهيم قال: «واجعلني للمتقين إماماً»، فالإمام صاحب الرسالة والحكمة، والخليفة صاحب الملك والقانون والنظام، وشتان ما بينهما... الحكمة تبقى على الزمن والقانون يزول بزوال واضعه.

هذا الفهم الخاضع للأهواء هو وراء الصراعات المذهبية التي تعيشها الأمة اليوم، فما بين سنة وشيعة وسنة وسنة، وشيعة وشيعة عن الإمامة والخلافة والحكم شيء باطل لم يكن في خاطر العلماء والأئمة.

كفى أيها الناس..

لم يكن ما تتقاتلون به اليوم في خاطر أحد من أسلافنا من آل البيت وغيرهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها».

أما ما يحدث اليوم من اختلاف، فلأنهم درسوا الأحكام وتركوا الحكمة.

الحكمة تمنع الإنسان من أن يستخدم القوة والسطوة، وتقربه من الكلمة الطيبة.

غاية الدعوة والدين ليست في خدمة المذهب والزمان والسلطان، بل للذكرى والتذكير بجوهر الوجود، وأتوجه إلى علماء الأمة أن يمتثلوا أوامر الله عز وجل، وأن يكونوا قدوة، وأن يفهموا النص القرآني الذي كان حاسماً وحازماً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ولو تقوّل» وأن يرى واحدنا أنه معني وبصورة مباشرة في الامتثال، والنص القرآني للاقتداء والتطبيق، لا للقراءة والترنم وخدمة الذات والمصلحة.

دمشق عجيبة الدنيا والغوطة سرّها وسوارها

إسماعيل مروة

عجائب الدنيا السبع، أكثر أو أقل، سواء سجلت في موسوعات عالمية أم لم تسجل، فإن العجيبة تبقى عجيبة، وشهادة العلماء والمعاصرين لرحلة العجيبة هي الأهم، فالأهرام سواء سجلت أم لا فهي عجيبة وأعجوبة الأعاجيب، رضي تاج محل أم لم يرض، وسخط برج إيفل أم رضي، وكما صدر أم هو عجيبة الأمومة، ولا يحتاج أحدهم لعرض صدر أمه أمام الخبراء للشهادة بأعجوبة حبه وعلاجه وحنانه، كذلك البلدان تتحول إلى عجيبة بأهلها وبذاتها.. واليوم صارت الغوطة حديثاً على كل لسان يرطن الإنكليزية أو العربية أو سواهما، وصار اسمها يتردد كما هو من دون ترجمة، ولو قمنا بتعداد المرات التي ذكرت فيها الغوطة لنالت استحسان الموسوعات وصارت عجيبة، وما يفيد هذا الذكر؟ وما يفيد أن تصبح الغوطة عجيبة الدنيا بعدد المرات التي ذكرت به؟ وربما كان الأدب وراء ما أذكره، فمحمد كرد علي وصف هذه العجيبة وأحبها وكتب عنها وسكنها، وعربين أو عربيل كما كانت في اللغات القديمة حاضرة اقتصاد وعلم، وقد كُتب عمن أنجبتهم عربين كتب كاملة، أما دوما عاصمة ريف دمشق، وما أدراك ما دوما، داريا والديراني والدير، وحدث بما شئت من كل بلدة من بلدان الغوطة، وأجمع ما قاله خليل مردم بك ومحمد البزم وأنور العطار وخير الدين الزركلي، وردد ما قاله المغنون عنها عبر الأزمان لتعلم أنك أمام بقعة من الدنيا لا تدانيها منطقة، ويكفي أن تعود إلى معجم البلدان لياقوت الحموي العالم الكبير الذي دار أغلب البلدان التي كتب عنها في معجمه الموسوعي، والذي يقول بأن دمشق عجيبة الدنيا بغوطتها، ويزيد بأن جنة الله على الأرض هي غوطة دمشق، وهي بذلك تتفوق على شعب بوّان الذي ذكره المتنبي (ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان).. الغوطة التي كانت ولا تزال مهوى الشعراء، وملعب النثر، ومستراح المتعبين، وملاذ الخائفين، ومطعم الجائعين، الغوطة هي غوطة سورية، وفي سهل أقرب إلى الصحراء كانت أخصب من الجبال الخضراء، وأكثر فتنة من البلدان التي لا يتوقف تهطالها.. الغوطة التي كان الشعراء والأدباء والساسة بانتظار انتهاء التزامهم اليومي في أشغالهم للهرب إليها، وإلى روحها وفضاءاتها، لتغسل أرواحهم وهي رئة الشام.. اختار الموسرون مصايفهم، فهذا شفيق جبري في بلودان، ولكن الجمع الغفير منهم اختار الغوطة، فهذه (بالا) وهذه (العدمل) وكل قرية تحمل اسم (حوش) كانت ملاذاً لعائلة أو أكثر، ومن ثم تحولت إلى قرية متكاملة من عمالها وسكانها وأسرهم.. الغوطة وكل ما في الغوطة فتنة رب، لم تشأ كل الموسوعات أن تسجلها كما أراد ياقوت الحموي عجيبة من عجائب الدنيا، التي حرصوا على عدم زيادة عددها، هذه نحن، هذه غوطة سورية، وما غيرها غوطة في الكون، اليوم تتردد حروف اسمها على ألسن عجماء، لا تشكر ذاكريها، ولا ترجو إلا أن تعود همساً لعصافير، وأن تكون ملاذ العنب والمشمش والخضروات، وأن تعود إليها أسراب الطيور، وقطعان الماشية.. ستولد الغوطة من جديد ليزورها ياقوت ويعود إليها شعراؤها ومحبوها، لمائها وقمر الدين فيها، وكل ما فيها من أعاجيب الفاكهة والأطايب والأمان.. هل نحن بنوك أم ماذا؟ لن تبخلي بالعودة.. عنك قال ياقوت: «قال الأصمعي: جنان الدنيا ثلاث، غوطة دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأبلة.. وقال أبو بكر الخوارزمي الشاعر: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وصفد سمر قند وشعب بوّان وجزيرة الأبلة، وقد رأيتها كلها وأفضلها غوطة دمشق.

ويقول عن الشام وغوطتها «وجملة الأمر أنه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي دمشق مثله، ومن المحال أن يطلب بها شيء من جليل أعراض الدنيا ودقيقها إلا وهو فيها أوجد من جميع البلاد..».

> لم توصف الجنة بشيء إلا وفي الشام مثله وغوطتها من جنان الأرض

وهل مثل قول أبي المطاع بن حمدان في وصف دمشق والحنين إليها؟

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها
فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني
إلى بردى والنيربين حنين
وقد كان شكي في الفراق يروعني
فكيف أكون اليوم وهو يقين؟
فوالله ما فارقتكم قالياً لكم
ولكن ما يقضى فسوف يكون

وأختم بقول الصنوبري الشاعر:

صفت دنيا دمشق لقاطنيها
فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها
خلال حدائق ينبت وشيا

إنها شامة الدنيا وعجيبتها، إنها دمشق التي يغار الحسن منها، إنها الشام التي ما إن يسمع الحاقد اسمها حتى يصاب بالمس وتقتله الغيرة، ويحاول أن ينال من شام!! لم يكن ابن حمدان شامياً ولا الصنوبري ولا أنا ولا الأخطل ولا القروي، لكن الحب هو الذي يدفع للحب، والتباهي بالشام، أما الحاقد فلو كان ابناً لها أو ساكناً لها، فإنه يرضع من ثديها وحليبها، ويغضب إن امتدحت أمامه، وربما أشار بإصبع الغضب إلى من يمتدح الشام، فهو بحقده يعرف أن الشام الجنة تكشف غور عواطفه، وهو يعلم أنه لم يستوعب كم الحب الشآمي فبقي يشعر بالنقص والحقد.

لذا لسنا ننتمي إلى الشام وغوطتها
لذا ستعود شام وغوطتها لسيادة الدنيا وجنانها
قد لا نصبح علماً ووو.. لكن الجنة في الأرض ستبقى جنة
وقاسيون سيحمي ما تبقى
ونحن راحلون
بحبنا راحلون.. بحقدنا راحلون.. بتشوهاتنا راحلون.. بمزايانا راحلون، ويبقى ياقوت يردد على الزمان: هي عجيبة الدنيا وجنة الله على الأرض ويبقى نزارها يقول: يا شامة الدنيا ووردتها.

غوطة دمشق لمحمد البزم

تسعى لها الفردوس يطلب عندها
منح الجمال وشائجاً وعقودا
في كل مشرفة وكل قرارة
وحيٍ يهيج من البيان وقودا
يفد الربيع على الربيع ويلتقي
فيها النديد من الخميل نديدا
سافر بلحظك حيث شئت فلن ترى
إلا عجائب توجب التوحيدا
أنى التفت فجدول مترنم
أو نائحٌ في أيكه تغريدا
وسواكب ومواكب وكواكب
تجري النحوس بجوهن سعودا

فإذا انحدرت فسابغات نجدت
فيها النمارق والحلا تنجيدا
نفضت به الزرقاء غرّ نجومها
نثراً تخال به اللحاظ نقودا
وحنا عليها الليل ملتمساً بها
زهر الفراقد توءماً ووحيدا
وإذا علوت فلجة من خضرة
تجري بسّابحة اللحاظ مديدا
ضحك الغدير إلى الغدير وقهقهت
لهما المتاعب مبدئاً ومعيدا
وثنت معاطفها الغصون فكلها
ثمل يعانق من أخيه ميودا

يتمازج الدمعان: دمع غمامها
بحبيس خضرتها فتنضر عودا
وتكاد عاتية السحاب بجوها
تهوي فتلصق بالجميم سجودا
فتن الصباح بها وغار مساؤها
فتباريا براً بها ورفودا
وافتر ثغر الليل عن أندائها
حبباً على أزهارها منضودا
وكأنما ركزت على اثباجها
تيجان أهل الخافقين بنودا
تتقلص الجنان عن جنباتها
خوف الرجوم فما يطقن وفودا

يسطو على عبق العبير عبيرها
أرجاً لينعش أنفساً وكبودا
ويلوذ معتل الهواء بظلها
يرجو الشفاء مكبلاً مكدودا
يكبو وينهض في أديم رياضها
خضل المعاطف متعباً مجهودا
يلقي إلى جدل الجداول مسمعاً
لقناً وآخر للحون صيودا
رقت له كبد الهواجر وارعوى
طاغي العواصف فانتحين وئيدا
وقضى على الرمضاء في صحرائها
وأقام في وجه الحرور سدودا